المنظور الحضاري في تجديد صياغة العقيدة الإسلامية عند إسماعيل راجي الفاروقي

أ.د عمار طسطاس
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ـقسنطينة

ملخص:

(المنظور الحضاري في تجديد صياغة العقيدة الاسلامية في فكر اسماعيل راجي الفاروقي) يتمحور المنظور الحضاري في تجديد صياغة العقيدة الاسلامية عند الفاروقي حول عقيدة التوحيد باعتباره جوهر الاسلام، والاسلام جوهر الحضارة الاسلامية.

ويتألف التوحيد كجوهر حضاري من جانبين:

- الأول: جانب المنهج
- والثاني: جانب المحتوى

ويعالج جانب المنهج الشكل الذي تنتظم به المبادئ المكونة للحضارة الاسلامية كما يعالج المحتوى المبادئ نفسها المنتظمة بذلك الشكل.

Abstract:

The civilizational vision of The new edification of Islamic "Aquida" in The Thoughts of Ismail Ragial faruqi

The civilizational vision of The new edification of Islamic "Aquida" in The Thoughts if Ismail Raja Alfarouki focus on The "Aquida" of uniticity of allah which is The center of Islam and Islam is The center of The Islamic civilization.

The Unicity of Allah as The center of Islamic civilization is dispatch into tow parts:

First one In term of Methodology

Second one: in term of content.

In The part of methodology it concern The form which organize The principles of The Islamic civilization In The part of content it concern The principles which organize The wholo structure of The civilization.

مقدمة:

يعتمد المنظور الحضاري في صياغة العقيدة الاسلامية في فكر اسماعيل راجي الفاروقي* على رؤية معرفية منهجية دقيقة تعكس ثقافته الموسوعية بالإسلام الحضاري وتراثه، وبفلسفة الاديان المقارنة بالإضافة إلى طلاعه العميق على الفلسفة الغربية، واهتمامه الدقيق بأبستمولوجيا علوم الطبيعة والانسان والمجتمع في تراث الحضارة الغربية الحديثة والمعاصرة.

ويتمحور المنظور الحضاري في تجديد صياغة العقيدة الإسلامية عند الفاروقي حول عقيدة التوحيد باعتبارها جوهر الإيمان، والإيمان جوهر الإسلام، والإسلام جوهر الحضارة الإسلامية.

وبذلك يحدد التوحيد هوية الحضارة الإسلامية في الماضي، والحاضر والمستقبل، إذ يسلك مكوناتها في نسق مترابط بين عناصرها، ويعمل على تحويل العناصر المقتبسة من الحضارات الأخرى بعد مرورها بالتوحيد كي تغدو متجانسة مع ما يحيط بها من مظاهر الحضارة المادية والمعنوية .

وقد جمع الفاروقي في المنظور الحضاري إلى عقيدة التوحيد بين نظرتين:

– الأولى تاريخية حضارية: يرى فيها الحضارة الإسلامية مسيرة إنسانية دائمة عبر مراحل التاريخ المتعاقبة مند فجر الرسالة الخاتمة حتى الآن، يؤثر فيها مبدأ التوحيد والقرآن والسنة على سائر جوانب الحياة الفكرية و الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والجمالية " مما يتيح للقارئ أن يرى تأثير الدين في حياة البشر من خلال تزكية النفس وإعمار الأرض"[1]

– الثانية تنظيرية تعتمد القرآن والسنة في بيان حقيقة التوحيد ومتضمناته في الفكر والحياة وقد عبر الفاروقي عن النظرة الأولى بمؤلفه المشترك مع زوجته لويس لمياء الفاروقي: " أطليس الحضارة الإسلامية"، وعن النظرة الثانية القيم " التوحيد" .

[1]– الفاروقي، إسماعيل راجي والفاروقي، لويس لمياء أطلس الحضارة الاسلامية، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، الرياض: مكتبة العبيكان، (1998/1419) ص17.

– أولا الرؤية التوحيدية للعالم:

يعرف الفاروقي التوحيد بصفته رؤية للعالم بقوله" التوحيد تصور عام للحقيقة، بما فيها الدنيا كلها والحياة كلها والتاريخ كله"[1] .

وإذا كان التعبير عن حضارة بكاملها في التاريخ بكلمة واحدة تترجم واقعيا ذلك التعريف في أبلغ الكلام وأقصره طولا وأكثره دلالة، كان ذلك في " لا إله إلا الله" عنوانا للتوحيد، وبالتالي للحضارة الإسلامية ويعني التوحيد بصفته نظرة تفسير العالم المبادئ الخمس الآتية:

1– ثنائية الحقيقة: ينطلق التوحيد في تصوير الوجود بأن حقيقته ثنائية قاطعة، تتكون: من إله، ولا إله، خالق ومخلوقات أو الله وغير الله ينفرد الله جل جلاله بالوحدانية في الذات والصفات والأفعال، الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية الكامل كل كمال المنزه عن كل نقص، رب كل شيء ولا رب غيره وإله كل شيء ولا إله غيره، هو الخالق الواحد الفرد الصمد الذي لا يحتاج شيء وكل شيء محتاج إليه، بلا شبيه ولا شريك، فهو سبحانه وتعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ (الشورى11) وأما حقيقة الوجود الآخر، فيتعلق بالمكان والزمان والخبرة والخليقة، ويضم كل المخلوقات من جماد وأشياء ونبات وحيوان وجن وإنس، وملائكة، وسماوات وأرض، وجنة ونار[2]. وما يتصل بحقيقة هذه الموجودات وعلاقاتها ووظائفها وغاياتها، وجودا، ومسارا، ومصيرا.

---

[1]– الفاروقي اسماعيل راجي، "جوهر الحضارة الإسلامية"، مجلة المسلم المعاصر، عدد 27 (شوال 1401هـ/سبتمبر 1981) ، ص10.

[2]- الفاروقي، إسماعيل راجي. التوحيد: مضامنيه على الفكر والحياة، القاهرة: مدارات للأبحاث والنشر، ط1، (1435هـ/2014م)، ص 53.

والوجودان، وجود الخالق ووجود الخلوقات ينفصلان عن بعضهما انفصالا كليا. «لا يمكن للخالق أن يتحد أو يتصل وجوديا في الخالق أو يتجسد في المخلوق، ولا للمخلوق أن يتحد أو يتصل وجوديا في الخالق، أو يسمو بنفسه إلى مرتبة الخالق»[1]

ومن هذا المنظور يخالف الإسلام وما سبقه من تراث التوحيد الذي جاء به الأنبياء والرسل، أصحاب وحدة الوجود من قبل بعض مذاهب المتصوفة، وأديان الهند والصين، ومصر والإغريق قديما، الذين أذابوا الدنيا في الله، ورفضوا الاعتراف بأية حقيقة سوى الله.

فالحقيقة ثنائية نهائية، لا تقبل الخلط، حقيقة الإله الخالق الواحد الأحد، المفارق لمخلوقاته في كل شيء.

2– الإدراكية المعرفية:

تنحصر علاقة الخالق سبحانه بالإنسان المخلوق بقوة الإدراك العقلي، أو بقوة الفهم التي هي وسيلة المعرفة، وجميع ما يتصل بوظائف المعرفة من ذاكرة وتخيل وتفكير وحدس وملاحظة واستيعاب وما إلى ذلك¨

وملكة الفهم هذه ميزة ميز الباري عز وجل بها جميع بني أدم[2].

وبالتالي فهي قوة فطرية تؤهل الانسان لإدراك إرادة الله ومشيئته وحيا أو تعقلا:

«وحيا إن أنزل الله كلامه المعبر عن إرادته.

– وتعقلا أن أمعن النظر في المخلوقات فاكتشف سننها وهي إرادة الله[3]».

3– غائية الخلق:

لعالم الخليفة غاية من وجودها، وهي تحقيق إرادة الخالق تعالى. فالله لم يخلق شيئا عبثا ولا باطلا. يقول عز وجل: ﭽ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﭼ (المؤمنون: 115).

---

[1]– الفاروقي، جوهر الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص11. وأنظر: الفاروقي، أطلس الحضارة الإسلامية، نصدر سابق، ص 132.

[2] – المصدر السابق، ص 132.

[3] – الفاروقي، جوهر الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص11

ويقول: ﭽ ڈ ژ ژ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ گ گ ڳ ڳ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ھ ﭼ (أل عمران: 190، 191)

فالكون بمظاهره وحوادثه لم يخلق صدفة أو من غير قصد، بل أبدعه خالقه على أكل وجه، وخلق فيه كل شيء بقدر يؤدي وظيفته التي من أجلها وجد. قال تعالى: ﭽ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ﭼ (السجدة: 7) وقال ﭽ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ﭼ (الأعلى: 1-3)

وإرادة الله في خلقه تتحقق على ضربين: بالضرورة وبالاختيار.

- تتحقق بالضرورة في سائر الخلقية لأن تلك الإرادة وضعها الله عز وجل سنة أو فطرة في جبلة المخلوق. لقوله تعالى: ﭽ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ (يس: 82).

وبدل على هذه الإرادة ما يسود الطبيعة والحياة من سنن الله تعالى المتحققة على الدوام فيما نلاحظه من كون مترابط ومنتظم ومتناغم، تحكمه تلك الأوامر التكوينية.

وباستثناء الانسان الذي هو جزء من هذا الكون أو هذه الطبيعة فإرادة الله تتحقق فيه بالضرورة والاختيار معا، طبقا لفطرته المتفردة التي تخضع لسنة الزوجية، مادة وروحا. فهو في جانبه المادي الجسدي خاضع لسنن الله التكوينية كسائر مكونات الطبيعة، فهو غير تحتار في الاستجابة لمطالبها. كسريان الدم في عروقه، وتنفسه وهضمه مثلا...إلخ.

وأما جانبه الروحي، فهو مصدر الفهم والوعي والفعل الأخلاقي الحر. فيؤهل الانسان للاختيار، ومن ثمة يخرج الفعل الأخلاقي عن نطاق سنن الله التكوينية، ويندرج في سنن الله التكليفية.

ودلنا القرآن الكريم على الإرادة الإلهية التكليفية حين عجزت السماوات والأرض والجبال عن حملها وحملها الانسان باختياره وإرادته لتميز الانسان بفطرة قادرة على حمل أمانة التكليف.

قال تعالى: ﭽ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ (الأحزاب: 72)

«وللإرادة الإلهية التي تتحقق باختيار الانسان مرتبة أعلى من مرتبة الإرادة المحققة بالضرورة. وهذا هو التفاضل القائم بين القيم الأخلاقية والقيم النفعية»[1].

4- القدرة والطواعية:

لما كانت الخلقية قد خلقت لغاية محددة وهي تحقيق إرادة الله في هذا الكون، بالضرورة والاختيار، فلا بد أن تتمتع هذه الخلقية بالقدرة على ذلك.

والإرادة الإلهية التي وضعت في الانسان قدرة وإرادة، على القيام بالفعل الأخلاقي الحر، بالتأثير في نفسه وفي محيطه الاجتماعي، ومحيطه الطبيعي. جعلت تلك الإرادة الربانية في نفس الانسان وفي محيطه الاجتماعي والطبيعي قابلية وطواعية لتقبل فعل الانسان فيها.

ويحدد القرآن الكريم غاية الانسان في هذا الوجود بالعبادة: ﭽﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ (الذاريات: 56). وأن مدار التكليف بالعبادة يقوم على ابتلائه في هذه الحياة الدنيا بنوع الإجادة في العمل الذي كلف به، قال تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤﭼ (الملك: 2).

«والخليقة بعمومها مؤهلة لتحقيق ما ينبغي أن يكون، أو بالأحرى تجسيد المثال الإلهي المطلق في حدود الاستطاعة في الفضاء المكاني والزماني الذي تعيش فيه الإنسانية على ظهر هذه الأرض. وهذا هو مفهوم التسبيح المشترك الجامع»[2].

يقول الله تعالى: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﭼ (الإسراء: 44).

5- المسؤولية والحساب:

اتضح مما سبق أن الانسان مكلف بتنفيذ أوامر الله ونواهيه في حق نفسه، ومحيطه الاجتماعي، والطبيعي، وثبت أنه قادر على ذلك مما يدل على أنه حر ومسؤول عن أفعاله

[1]- الفاروقي، جوهر الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص 11. وأنظر: الفاروقي، أطلس الحضارة الإسلامية، ص 132.

[2] - الفاروقي، التوحيد...مصدر سابق، ص 56.

نلك، وما دام أمره كذلك، حق عليه الحساب. إذ بدون ذلك تصير جدية التكليف بلا معنى ولا قيمة.

وحساب الانسان قائم في عالم الزمان والمكان وبعده يوم الحساب إن خيرا فخير وإن شرا فشر[1].

يقول تعالى بشأن ذلك: « ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ (الزلزلة:).

ويقول: ﭽ ﯕ □ ﭼ (الرعد: 18)

بعرض المبادئ الخمسة للتوحيد المكونة للرؤية التوحيدية في تفسير العالم، في شكل منظومة عقدية معرفية متكاملة تعبر عن صورة حقيقية للإسلام لا في مضمون الرسالة الخاتمة فحسب، وإنما في كل الوحي الإلهي المنزل على أنبيائه ورسله من لدن أبي البشرية أدم إلى خاتمهم محمد بن عبد الله عليهم الصلاة والسلام، لقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ (الأنبياء: 25).

وقد فطر الله تعالى البشرية جمعاء على هذه المبادئ المكونة لحقيقة التوحيد، ولن يقبل منها غيرها يوم القيامة.

قال تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ □ □ □ □ □ □ ﭼ (الروم: 30).

وقال عز وجل بشأن من يقبل عليه يوم القيامة وهو مشرك به، أن ذلك أمر باطل ولا يقبل حجة من أحد على شركه وكفره.

ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ (الأعراف: 172-173).

[1]- الفاروقي، جوهر الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص 12.

لا يقدم التوحيد تفسيرا للعالم فحسب، وإنما يقدم خطة لتغييره وبنائه وإعماره بتحويل الزمان والمكان عبر الفعل الأخلاقي الفردي والجماعي للإنسان فيما يعرف بالحضارة في تاريخ الإنسانية.

ثانيا/ التوحيد كجوهر حضاري

تنبثق الحضارة في منظور الرؤية التوحيدية الإسلامية عن تفعيل تلك المبادئ التوحيدية في الزمان والمكان طبقا لمقتضيات التوحيد العقدية والتشريعية والأخلاقية والمعرفية.

ولقد تمكن الفاروقي من استنباط هذه العلاقة بين التوحيد والفعل الحضاري الإسلامي من تجليات الحضارة الإسلامية في التاريخ على نحو غير مسبوق في تفسير التاريخ الإسلامي. واستطاع أن ينظر للتوحيد اعتمادا على القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، ويعتبر التوحيد مبدأ للفكر الإنساني ولكل جوانب الحياة الإنسانية ونظمها كافة.

ومن هنا فالمنظور الحضاري في تجديد صياغة عقيدة التوحيد في فكر الفاروقي يستخلص من تجربة المسلمين الحضارية كما يؤخذ مبادئه من الوحي خطة لبناء الحضارة الإسلامية الإنسانية في الحاضر والمستقبل.

يرى الفاروقي أن التوحيد بوصفه جوهرا للحضارة له جانبان:

1-جانب المنهج أو الأسلوب.

2-وجانب الفحوى أو المضمون.

ويعني جانب المنهج أو الأسلوب، ذلك الشكل الذي يحدد بناء وتنظيم المبادئ المكونة للحضارة. كما يعني جانب الفحوى أو المضمون المبادئ نفسها المنتظمة بالشكل لتلك الحضارة[1].

1-جانب المنهج أو الأسلوب:

ويتكون جانب المنهج أو الأسلوب، الذي هو الشكل الجامع الذي يحدد سمات الحضارة الإسلامية وطابعها الخاص، من مبادئ ثلاثة: الوحدة، والتعقل، والسعة.

[1]- الفاروقي، جوهر الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص 12، وأنظر: الفاروقي أطلس الحضارة الإسلامية، مصدر سابق، ص 134.

أ–مبدأ الوحدة:

لا حضارة بدون وحدة، ونعني بتلك الوحدة الانتظام بين المفاهيم الفحوية أو المضمونية ذات النسق الواحد المتجانس التي تؤلف حضارة ما.

والوحدة انتظام في إطار واحد ينظم العلاقات بين عناصر الحضارة تنظيما هرميا، ويصهر العناصر الوافدة من حضارة أخرى صهرا وهضما وتسوية تخرج عبر التوحيد عنصرا جديدا متجانسا مع غيره من العناصر الفحوية الأصيلة.

وهذا التفاعل الحضاري حصل في الماضي مع الحضارة الإسلامية ويحصل في الحاضر والمستقبل مع غيرها أخذا وعطاء. ولكن بعد هضمه وتسويته وتحويله من جوهر غريب عن الحضارة إلى مادة فحوية تنتمي إلى الحضارة الإسلامية انتماء عضويا. ولعل أسوأ ما نزل من كوارث بحضارة المسلمين في العصر الحديث هو انتزاع وحدة المنهج أو الاسلوب من حياتهم بإدخال عناصر غريبة دون صهر أو تسوية، وعدم القدرة على تخريجها في نسق واحد.

وينطبق هذا الأمر على العلاقة غير السليمة في تعاطي المسلمين مع الحضارة الغربية المعاصرة من دون منهج يرتكز على رؤية توحيدية تساعدهم على أخذ ما هو نافع وترك ما هو ضار في دينهم ودنياهم.

وإذا كانت وحدانية الله تعالى تستلزم إفراد المؤمنين له بالطاعة والعبادة في شعائرهم وفي شؤون حياتهم الفردية والجماعية. نتج عن ذلك أنه لا بد لحياة المسلم: «من أن تتسم بوحدة من تدين له، فتأتي مرتبطة الأجزاء بخيط واحد يجمعها. وإذا ارتبطت أجزاؤها وتنسيق كانت ذات شكل أو أسلوب واحد[1]».

ب– مبدأ التعقل:

يمثل التعقل باعتباره مبدأ أسلوبيا أو منهجيا لجوهر الحضارة الإسلامية، مبادئ معرفية ثلاثة:

---

[1]- الفاروقي، جوهر الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص 13، وأنظر: أطلس الحضارة الإسلامية، مصدر سابق، ص 135.

المبدأ الأول-رفض ما يخالف الحقيقة.

المبدأ الثاني-رفض استمرار المتناقضين.

والمبدأ الثالث-الانفتاح وتقبل الدليل المخالف[1].

ويقتضي المبدأ المعرفي الأول في منظور التوحيد التمحيص والنقد، وبالتالي رفض كل ما لا يتطابق مع حقيقة الواقع. وهذا المبدأ يحمي من الظن، قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ (الحجرات: 12). كما يحمي المسلم من اتباع الهوى وما ليس له به علم، وتجنب ادعاء المعرفة من دون مبدأ أو دليل إثبات.

والمبدأ الثاني، رفض استمرار المتناقضين، أو نفي التناقض المطلق هو جوهر مبدأ العقلانية في الإسلام، ووظيفته حماية العقل المسلم من التناقض البسيط من جهة ومن التناقض الظاهري من جهة أخرى.

ولا تعني العقلانية أو التعقل إعلاء العقل على الوحي، وإنما تعني رفض استمرار التناقض بينهما، ومن هنا نرفع إلى العقل المتناقض عليه ليمعن النظر والتدبر فيه تارة أخرى عله يكتشف فيه ما يزيل التناقض.

وأما مبدأ التعقل الثالث، وهو الانفتاح على الدليل المخالف، ويحميه ذلك من التنطع وادعاء امتلاك الحقيقة كلها، فيقيه أيضا من التزمت، ويكسبه التواضع الفكري والاستفادة من غيره وهو الذي يقرن رأيه أو حكمه دائما بـ «الله أعلم»[2].

ويستمد مبدأ لتعقل معناه من مفهوم التوحيد الذي هو الإقرار بوحدانية الله، التي تستلزم وحدة الحقيقة لأنه سبحانه هو مصدر الحقيقة الموحاة والحقيقة الواقعية بما فيها الدنيا كلها، والإنسان بعقله وكيانه كله من خلق الله تعالى.

ج-مبدأ السعة أو التسامح:

---

[1]- الفاروقي، جوهر الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص 13، وأنظر: الفاروقي التوحيد، مصدر سابق، ص 100.

[2]- الفاروقي، التوحيد..، المصدر السابق، ص 101، أنظر: الفاروقي، جوهر الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص14.

تعني السعة كمبدأ معرفي حسن الظن بظاهر الأمور إلى أن يثبت خطأها. ويقابل مبدأ "السعة" المعرفي مبدأ اليسر الأخلاقي، الذي يعني تقبل المرغوب فيه حتى يثبت فساده.[1]

ويمكن جمع المبدأين في مبدأ التسامح الذي هو مبدأ منهجي متضمن في جوهر التوحيد وترجمته القرآنية تعني من جهة السعة أن الله تعالى لم يدع أمة الأمم إلا وبعث فيها رسولا يعلمهم أن الله إله واحد لا شريك له، ويدعوهم إلى توحيده بعبادته وحده لا شريك له، قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ (النحل: 36)

وعلى مستوى البعد الأخلاقي للتسامح، "اليسر"، إذ يوفر للمسلم المناعة ضد الانهزامية أمام كل التحديات النافية للحياة، وتكسبه القدر الأدنى من الأمل والتفاؤل لمواجهة الأزمات وللاحتفاظ بالتوازن النفسي مهما صادف من مصائب ومحن في حياته الخاصة والعامة لأن الله يخبره دائما في منقلبات الحياة وصروفها بقوله عز وجل: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ (الشرح: 5، 6).

ويقول له تعالى أيضا: ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﭼ (البقرة: 185)

«تنحدر السعة واليسر من التوحيد كمبدأ أخلاقي، فالله الذي خلق الإنسان، يبلوه حسن العمل، جعله قادرا على التحرك في الكون مقبلا عليه، فالأصل فيه الحركة لا الجمود».[2]

2–جانب الفحوى أو المضمون:

وقفنا فيما سبق على أسس الجانب المنهجي للتوحيد كجوهر حضاري الذي، يؤلف الشكل الجامع للحضارة الإسلامية، وهي الوحدة، والتعقل، والسعة، التي تشكل في

[1]- الفاروقي، جوهر الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص14.

[2]– الفاروقي، جوهر الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص15.

مجموعها ذلك الإطار المنظم للمبادئ المضمونية الفحوية، وهي الجانب الثاني المكون للتوحيد كجوهر حضاري، متمثلة في: مبدأ الغيب، ومبدأ الأخلاق، ومبدأ النظام الاجتماعي، ومبدأ الأمة، ومبدأ الأسرة، ومبدأ النظام السياسي، ومبدأ النظام الاقتصادي، ومبدأ النظام العالمي، ومبدأ الجمال.

أ-التوحيد: مبدأ الغيب

تعني كلمة التوحيد، أو الشهادة بأن «لا اله إلا الله» كمبدأ غيبي أن الله وحده هو رب كل شيء ولا رب غيره، أي خالق لكل شيء وموجد له، وهو الغاية من كل شيء مخلوق في هذا الوجود.

فإذا شهد الإنسان بهذه الشهادة عن علم ووعي وإيمان جازم بمعانيها الكاملة التي توحد الله في ربوبيته وإلهيته وتنزهه عن النقص وتفرده بذلك، «أيقن أن كل ما يحيط به من حوادث طبيعية كانت أو اجتماعية أم نفسانية، كلها من فعل الله وتحقيق لغاية من غاياته»[1].

فإذا استقر هذا اليقين في وعي المسلم، شكل رؤيته للعالم بأن أمر الله يحكم كل مكونات الطبيعة وحوادثها. فإذا تدبر أمر الله فيها كانت العلوم الطبيعية، وإذا تتبع تلك الأوامر أو السنن في نفسه ومجتمعه كانت العلوم الإنسانية والاجتماعية. وفعل الله وأمره في الطبيعة والإنسان يقوم على سنن لا تتبدل ولا تتغير، ولما كان أمرها كذلك كانت قوانين مطردة ومتساندة ومتكررة ومحكومة بأسباب تعود في النهاية مهما تعددت إلى إرادة الله وأمره، ولا شيء منها يندرج تحت سلطان قوة في الوجود غير قوة الباري عز وجل، ويعني توحيد الله من هذا المنظور أنه تعالى ينفرد في الكون كله بتسبيب الأشياء والحوادث. وإليه مصير كل الكائنات[2]، وأنه تعالى هو الأول والأخر. ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ (الرحمن: 26-27).

---

[1] - الفاروقي، جوهر الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص15، وأنظر: أطلس الحضارة الإسلامية، مصدر سابق، ص139.

[2] - الفاروقي، التوحيد... مصدر سابق، ص111.

ب–التوحيد: مبدأ أخلاقي:

كل حديث القرآن الكريم عن الإنسان يثبت إنسانيته، على نحو متفرد لا يشترك معه في تصوير حقيقته مذهب أو دين. فالرؤية التوحيدية للإنسان تفصيلا، تقرر أن الله تعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم، وزوده عز وجل بأدوات المعرفة والقدرة على القيام بالمهام التي نيطت به في هذه الحياة من عبادة وعمارة وخلافة في الأرض، كما أعطي الإرادة الحرة التي جعلته سيد الكائنات المتصرف فيها بأمر الله، حين يحمل أمانة المسؤولية التي لم تقو السماوات والجبال والأرض على حملها وحملها الإنسان بمقتضى مؤهلاته الفطرية التي خصه بها الباري تعالى[1].

يقـــــول الله تعـــــالى: **ﭽﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ** (السجدة: 7–9).

وقال: **ﭽ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭼ** (الذاريات: 56)

وقـال أيضـا: **ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ** (البقرة: 30)

وقـال سبحانه: **ﭽﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ ﭼ** (الأحزاب: 72).

والأمانة المذكورة في الآية هي تكليف للإنسان بتحقيق إرادة الله الأخلاقية. ومسرح هذا التكليف الذي خص به الإنسان لا يعرف حدا، فكل الوجود داخل في نطاقه، وجميع البشرية هدف لعمل الإنسان الأخلاقي، وجميع الأفلاك والكائنات هدف لذلك، تكليف كوني، عالمي يمتد إلى يوم القيامة.

[1]– الفاروقي، التوحيد... المصدر السابق، ص125.

«فطوبى للإنسان أن يكون الجسر الكوني الذي تعبره إرادة الله الأخلاقية لتدخل التاريخ، لتتحقق في الزمان والمكان»[1]

جـ-التوحيد: مبدأ قيمي:

يقرر التوحيد بعد إثبات أهلية الإنسان في قدرته على القيام بالواجب العظيم، وهو أداء الأمانة في حياته الدنيا على الوجه الأكمل في جميع مجالات الحياة، أن يتصرف بإيجابية في إحسان العمل وبناء الحضارة لأنه محاسب على ذلك إن عاجلا أو أجلا. إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

فعلى الانسان أن يبحث ويعرف سنن الله في الطبيعة والنفس والمجتمع وأن يسخر تلك المعرفة في صنع وتحويل الدنيا إلى جنة تعلو فيها كلمة الله، تلبك هي الإيجابية وضمانتها هي الأخلاق، والإيجابية المنضبطة بالأخلاق هي الحضارة، وهذا ما يمنحنا التوحيد[2].

د-التوحيد: مبدأ النظام الاجتماعي: الأمة

يتفرد الإسلام في بعده الاجتماعي، لتفرد مفهوم الدين في الإسلام، إذ يعتبر الإسلام الدين شأن خاص يحفل بالحياة كلها بزمانها ومكانها وبعملية التاريخ. مؤكدا بأن الحياة وما تزخر به من كائنات وعلى رأسها الانسان، موجودات بريئة وخيرة ولها مقاصد وغايات من خلقها. من هنا يؤكد الإسلام أن الزمان والمكان والتاريخ مسائل مشمولة في نطاق الدين، ففيها جميعا يحقق الانسان التقوى والصلاح والخلافة والعمارة في الأرض بالسعي المحمود من توجيه الدين، أو بالعقوق والإفساد حين تعاكس الأمم والمجتمعات مراد الله تعالى في اليسر في الأرض[3].

---

[1]- الفاروقي، جوهر الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص17، وأنظر: الفاروقي، أطلس الحضارة الإسلامية، مصدر سابق، ص 141.

[2]- الفاروقي، التوحيد... مصدر سابق، ص151، وأنظر: الفاروقي، جوهر الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص19.

[3]- الفاروقي، التوحيد...، مصدر سابق، ص 157.

يقتضي الإقرار بوحدانية الله تعالى من المسلم أن ينظر إلى الحياة بزمانها ومكانها بجد لأن فلاحه أو خسرانه مرتبط بسعيه وفقا للسنن الإلهية المتصلة بالزمان والمكان الذي يعيش فيه، وقد أمره الله تعالى أن يتعاون على ذلك مع إخوانه من البشر.

يقول الله تعالى: چ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ چ (أل عمران: 104-105).

هذا الأمر الإلهي المتضمن في الآيتين، هو الميثاق المنشئ لهذا الكيان الاجتماعي لهذه الأمة، ومنه تستمد مبادئها الدستورية بوصفها رابطة بشرية غايتها إنفاذ أمر الله وتحقيق إرادته في الواقع.

كما يقول لنا القرآن الكريم أن خصائص هذه الأمة أنها أمة واحدة وأن ربها الله، وأن رباطها الأول هو الإيمان بالله والأخوة فيه. ويقوم اجتماعها على التواصي بالحق والتواصي بالصبر، والاعتصام بحبل الله وعدم التفرق فيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وطاعة الله ورسوله[1].

«وهذه الأمة مؤسسة كونية، بما أنها أداة تحويل الشق الأعلى من تلك الإرادة – البعد الأخلاقي منها– إلى تاريخ. ولما كان الفعل الأخلاقي يستلزم حرية الفاعل المؤتمن، فإن الأمة التي هي بمنزلة رابطة لفاعلين مؤتمنين أخلاقيين، لا بد أن تكون مفتوحة وحرة، ومرشد حياتها الوحيد هو الإرادة الإلهية، التي هي مبرر وجودها ذاته[2]». ولنقرأ ، قوله الله تعالى: چ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ چ (أل عمران: 110).

ولذلك دعت الحاجة لقيام الأمة بتحويل معطيات الزمان والمكان وفق الإرادة الإلهية، ضرورة وجود جنس بشري على الأرض، يكدح ويعاني ويستمتع بجهوده، ولا يمكنه القيام بذلك والعيش والبقاء دون نظام اجتماعي[3].

---

[1]- الفاروقي، جوهر الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص 19.

[2]- الفاروقي، التوحيد....، مصدر سابق، ص 166.

[3]- الفاروقي، المصدر نفسه، ص 168-169.

هـ-التوحيد: مبدأ الأسرة:

يرى الفاروقي أن الجمع بين التوحيد والأسرة يمكن البرهنة عليه عقليا، ذلك أن البيان القرآني المفصل لشأنهما يدل بذاته على الحاجة المنطقية إليهما. «فلا يمكن أن يقوم التوحيد في الأرض دون الأسرة»[1].

اقتضى مراد الله الفطري بالنسبة للبشر أن يتناكحوا ويتناسلوا ويعيشوا معا، وأن يهيئوا بذلك المسرح الذي يحقق الجانب الأخلاقي من الإرادة الإلهية بفعل إنساني، ويتكون هذا المسرح من أربعة مستويات: النفس، والأسرة، والقبيلة أو القوم أو العرق، والأمة العالمية الجامعة. فالحاجة إلى تحقيق الإنسان لمستوى معرفي وأخلاقي بنفسه والحفاظ عليها وحمايتها طبقا لنسق من القيم الأخلاقية، شروط لإبقاء للخلقية من دونها.

وأما مستوى القبيلة أو القوم أو العرق، فهي غير ضرورية إذ تندرج في بناء الأمة. وأما مستوى الأمة الذي تؤسس رابطته على الإيمان فهو الجدير بتحقيق الكرامة والإنسانية بين البشر، ويأتي في الأخير المستوى الاجتماعي المعروف بالأسرة بمثابة النواة للأمة، فقد أولاها القرآن أهمية تفصيلية باعتبارها المؤسسة الاجتماعية، المعززة بالفرد من جهة وبالأمة من جهة ثانية[2]. يقول تعالى: ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﭼ (الروم: 21).

والزواج ينشئ شبكة روابط وعلاقات إنسانية متعددة الأطراف ذات طابع أخلاقي، من إنجاب وحب وتراحم وشورى وتربية وتعاون ومودة وقربى[3]...إلخ.

و- التوحيد مبدأ النظام السياسي:

---

[1]- الفاروقي، المصدر نفسه، ص 220.

[2]- الفاروقي ، المصدر نقسه، ص220.

[3]- الفاروقي ، المصدر نقسه، ص217، 218.

يسعى الفاروقي مع هذا العنصر المضموني للتوحيد وهو مبدأ النظام السياسي، حيث يرادف بين مفهومي الخلافة والنظام السياسي، باستدعاء الخبرة التاريخية لتفعيل قيم التوحيد في التاريخ.

وينطلق في رسم معالم إعادة تفعيل البعد السياسي للتوحيد من التصور الاسلامي للامة باعتبارها أداة إعادة تشكيل العالم وتنفيذ الإرادة الإلاهية والخلافة في الارض.

يرى الفاروقي أن متضمنات التوحيد للنظرية السياسية التي هي الخلافة،

تتألف من إجماع ثلاثي: للرؤية، والإرادة، والعمل.

1- إجماع الرؤية:

هو إجماع العقل أو الوعي على مقومات ثلاثة:

- معرفة القيم التأسيسية للإرادة الإلاهية، بمعرفة جوهرها أو نواتها المتمثلة في مصادرها من قرآن وسنة، وعقل، وواقع بوجه عام: "ما وراء الطبيعة، والطبيعة (العلوم الطبيعية) والإنسان (علم الإنسان، علم النفس، علم الأخلاق) والمجتمع العلوم الاجتماعية"[1]

- معرفة ما نتج عن تحقيق القيم التأسيسية للإرادة الإلاهية في مسيرة التاريخ وآثارها الواقعية في النماذج التطبيقية من السيرة النبوية ومواقف من حياة الصحابة.

- معرفة الحاضر، وذلك بعدم الاقتصار على الإدراك النظامي للقيم في صورته التاريخية، وإنما يجب أن تصحبها معرفة بالحاضر، تحديد كيفية تجسيدها من جديد.

2-إجماع الإرادة: ويتعلق في نظام الأمة السياسية، بعصبية وحس مشترك ينسجم مع قيم الرؤية الإسلامية، "الذي يتعاهد المسلمون بناء عليه بوحدة استجابتهم للأحداث والمواقف التي تواجههم، وبأن يكونوا يدا واحدة في طاعة أمر الله تعالى، وفي إقامة نظام مؤسسي قادر على بلورة قراراتهم، وعلى الوصول لكل المسلمين وتعبئتهم للوفاء بمقتضيات

[1]- الفاروقي، التوحيد...مصدر سابق، ص19.

الدعوة الإسلامية، وترجمة ما يجب ان تكون عليه القيم، إلى خطة عمل للأفراد والجماعات ولقادتهم"[1]

3-إجماع العمل:

هي قمة تتجلى فيها كل الاستعدادات السابقة في حدث فعلي، طبقا للإجماع الحاصل في الرؤية والإرادة الذي يوضع موضع التنفيذ، وما هذا إلا تحويل الإرادة الإلهية إلى واقع فعلي معيش.

ومضمون مهمة إجماع العمل: "هو إشباع الاحتياجات المادية للأمة، وتوفير قدر من التعليم لكل فرد فيه في حدود قابلياته، يحقق به ذاته قدر استطاعته، وتوفير كل الوسائل المادية والمعنوية اللازمة للدفاع عن الأمة في مواجهة أعدائها الأجانب، وتجسيد الإرادة الإلهية في كل أرجاء المعمورة"[2].

ز-التوحيد: مبدأ النظام الاقتصادي:

يرمي هذا المبحث إلى توضيح العلاقة الوطيدة بين التوحيد والنظام الاقتصادي يقول سبحانه وتعالى **ﭿ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ** (الماعون: 1-3).

ويقول: **ﭿ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭾ** (الذاريات: 19)

وفي القرآن الكريم مزيد من الاهتمام بالدنيا أو بالجانب المادي للحياة الذي يؤكد مضمونات التوحيد إلى جانب اهتمامه بالبعد الروحي في نسيج واحد. قال تعالى: **ﭿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭾ** (الملك: 1 — 4)

تدل الآيات على "أن مقومات الخليقة كلها خيرة، وأن الوجود ليس أفضل العوالم الممكنة فحسب، بل إنه كامل ومبرأ من كل عيب: وعين مراد الله تعالى من الانسان هو ملء هذا الوجود بالقيمة عبر الرؤية والفعل الاخلاقيين"[3] فليقرأ في ذلك قوله تعالى: **ﭿ**

[1]- الفاروقي، التوحيد.......مصدر سابق، ص235، 236

[2]- الفاروقي، المصدر نفسه، ص 239

[3]- الفاروقي، التوحيد....مصدر سابق، ص 258.

□ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﴾ (الأنعام: 165).

وقـــال تعـــالى: ﴿ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي ي □ □ □ □ ﴾ (الجاثية: 12).

وبناء على ذلك، فإن استفادة الانسان وتمتعه بالقيم الاولية أو النفعية أمر مباح في منطق القرآن في هذه الحياة لأن الله هو الذي خلق الإنسان وسخر له ما في البر والبحر والسماوات، فالعالم في منظور التوحيد مليء بالقيمة، والمحافظة عليها وتنميتها تدخل ضمن حمد الله تعالى وشكره وعبادته من قبل الانسان[1]

وقد وجه القرآن الانسان المسلم ان يطلب الدنيا بعمارتها وتغييرها بما يخدم حياته وحياة غيره على أفضل وجه بالعمل الصالح وأن يبتغي من ذلك الدار الآخرة عبر العمل الاقتصادي المادي، قال تعالى: ﴿□ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ ى ى ي ي□ □ □ □ □ □ □ □ ﴾ (القصص: 77)

والمعنى الوحيد لفلاح العمل، أو للفلاح في العمل، وفق اللغة التي يصف بها القرآن الغاية من الوجود كله، هو تغيير المواد" الأولية للخليقة بما فيها الانسان نفسه والأنهار والجبال والغابات وحقول القمح، والقرى والمدن، ومن الجلي أن ملء هذا العالم ليس أمرا مهما بالنسبة للدين فحسب، بل هو غير مهمة الدين كلها"[2] . كما جاء في آيات سورة الماعون.

طبقا لتوجيهات القرآن للإنسان وبيانه لمبدأيه الحياة المادية وعدم ازدرائها والتخلي عن واجب عمارة الارض وتحويلها إلى جنان يسعى الانسان في مناكبها ويأكل من رزقها بلا إسراف ولا تقتير. نستطيع القول أن سعي الانسان الاقتصادي يجعل منه كائنا اقتصاديا بالفعل، ولكن ليس بالمعنى الذي قصده max weber وهو خضوع الانسان لقوانين اقتصادية تهيمن على نشاطه بلا معقب، فالقوانين الاقتصادية قد تكون صارمة، إلا أن

[1] – المصدر نفسه، ص 258

[2] – المصدر نفسه، ص 258

النموذج الذي يخضع الانسان حياته له، هو في نفس الوقت خياره المقصود عمدا، تبعا لإرادة الانسان الحرة ووعيه بالبدائل المكنة المنسجمة مع رؤيته الكونية. "وتأسيسا على ذلك، اعتبر الاسلام الدنيا طريقة لتوجيه الحياة على الأرض، ولا عمل للدين غير تحقيق هذا الهدف...وعلى النقيض من الأديان الأخرى التي شيدت لنفسها مملكة كاملة أخرى غير هذه الحياة الدنيا، يحكمونها فيما وراء الحياة على الأرض، فإن الإسلام أعلن أنه هو نفسه ضمير هذه الأرض وهذه الحياة"[1]

ح- التوحيد: مبدأ النظام العالمي:

من منطلق التوحيد والوحدانية لله تعالى بلا شريك، فإن أوامره، التكليفية، والتكوينية تسري على كل البشر، مما يعني أنها أوامر عالمية تنطبق عليهم جميعا. غير ان البشر قد أقاموا روابطهم قبل الاسلام، إما على القبيلة أو القوم او العرق، او على الثقافة، او عليها جميعا.

أما جديد الاسلام في هذا المجال فقد جاء برابطة "الأمة" بين البشر[2]، والأمة كما حددناها آنفا، هي إجماع للرؤية والإرادة والعمل، بمقتضى العالمية المتضمنة في عقيدة التوحيد، كانت الأمة الاسلامية مجمع جديد يقوم على الدين لا على رابطة القبيلة او العرق. وينتظر الاسلام من غير المسلمين ان يقتدوا به في تنظيم انفسهم على أساس الدين بالدخول طواعية في الاسلام أو البقاء على دينهم.

وتعرف رابطة لأمة في الاسلام انبثاقها ونشوءها. حين نظم الرسول صلى الله عليه وسلم في العهد المكي المسلمين في جماعة رابطها هو الدين، ولما هاجر المكيون إلى المدينة ضمهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الأنصار على أساس التآخي أو رابطة أخوة الإيمان، لما جعل في ذلك المجتمع المساواة بين الأحرار والعبيد، وبين السادة ومواليهم على أساس أن الكلمة العليا لشرع الله عز وجل. وكان قائد هذا المجتمع الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الشؤون الدينية والسياسية والاجتماعية وغيرها.

---

[1]- الفاروق، المصدر السابق، ص 265

[2]- المصدر نفسه، ص 287

وبمجرد وصول النبي صلى الله عليه وسلم إلى يثرب سن عهد المدينة أو دستور المدينة المنورة كأساس لرابطة جامعة، مفتوحة أمام كل من المسلمين واليهود. لينظم كل منهم حياته وفقا له. واعتبر هذا العهد دستورا للدولة الاسلامية الناشئة أولا، و"للنظام العالمي الذي يسعى الاسلام إلى إقامته للجنس البشري"[1] ثانيا.

وقد أحل هذا الدستور رابطة الدين محل رابطة القبيلة بالنسبة للمسلمين وغير المسلمين كمبدأ أول ناظم للعمران البشري محليا وعالميا، ومنذ ذلك العهد أصبح المسلمون اعضاء في أمة عضوية مفتوحة، لقوله تعالى: چﭧ ٹ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ چ (الأنبياء: 92، 93).

وإلى جانب أمة الإسلام في المدينة المنورة، تجاورها في نفس المكان أمة أخرى هي أمة اليهود، دعاهم الدستور إلى أن يكونوا منظمين في كيان عضوي واحد، على أن يكفل لهم هذا النظام حقهم في التحاكم إلى شريعة التوراة، مع حماية الدولة الاسلامية لأمة اليهود وكفالة الحرية والسلام لها، وحمل من يخالف شريعة التوراة من اليهود على تطبيقها. والتحق بالنظام الاسلامي العالمي نصارى نجران في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ومد الخلفاء بعد النبي صلى عليه وسلم تلك الوضعية إلى الزاردشتيين والهندوس والبوذيين.

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن النظام العالمي الذي عرفه الاسلام طيلة التاريخ الاسلامي قد احتضن اليهود والمسيحيين وغيرهم كوحدات تأسيسه في بنيته، مما يعني أنه يسع الجنس البشري كله، وبناء عليه كان من الضروري أن تتسع بنية هذا النظام للعيش المشترك، تحيا في ظله كل الجماعات في وئام وسلام، وتتنافس في الصلاح والخيرات، وتتفاعل فيما بينها على أساس التعارف والاحترام المتبادل، وميزان التفاضل بين الجميع هو تقوى الله تعالى[2]، قال تعالى: چ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ چ (الحجرات: 13).

ط-التوحيد: مبدأ جمالي:

[1]- الفاروقي، المصدر السابق، ص 288، 289

[2]- الفاروقي، المصدر السابق، ص 291

ترتكز النظرة الجمالية أو الفن الاسلامي على مبدأ التوحيد الذي يعني المفاصلة المطلقة بين الله تعالى وعالم الطبيعة كله، لأن مكونات الطبيعة تصطف جميعها في عالم الخليقة الخاضعة لسنن الزمان والمكان، والله سبحانه " هو الآخر، المطلق المغاير بالكلية للطبيعة، المتعالي لأوحد بالتالي، بل إن التوحيد يؤكد، علاوة على ذلك، أنه سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء، يقول تعالى في ذلك: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ (الشورى: 11). ومن ثم يستحيل أن يكون في الخليقة أي شيء يمكن أن يكون شبيها بالله أو رمزا له، أو يمثله. فهو سبحانه، بالتعريف ذاته، أسمى من أي وصف، ويستحيل بالنسبة له سبحانه وتعالى الحدس الجمالي، فضلا عن الحسي"[1].

ينطلق الفن في معظم التجارب الإنسانية، والغربية منها على الخصوص قديما وحديثا، من أن موضوعه ينحصر في أن كل شيء من الخليقة في الطبيعة، "لا سيما في الإنسان (وبدرجة أقل في الحيوان والنبات) جوهر أولي ما ورائي، قائم بذاته، هو ما يجب على الشيء أن يكونه وإن لم يكنه فالفن هو اكتشاف هذا الجوهر وإعطاؤه الجسد المرئي المطابق له"[2]

وهذا الجوهر الماورائي الذي يهدف الفنان إلى التعبير عنه متسامي إلهي في طبيعة الماورائية، فهو جدير بالإعجاب والمحبة كلما اقترب من الإلهية ولهذا جاء النحت الإغريقي تصوير الآلهة قبل كل شيء وقد سارت فنون الدراما والمسرح والتمثيل هذا المسار في تصوير الآلهة في صراعها مع بعضها البعض "وهذا هو الضبط ما أسماه الإغريق "التأله" أو تجلى الإله في صورة الإنسان"[3]. غير أن "التوحيد لا ينكر الإبداع الفني، ولا يتنكر للجمال على

---

[1]– المصدر نفسه، ص 306

[2]– الفاروقي، جوهر الحضارة الاسلامية، مرجع سابق، ص 20، وانظر: الفاروقي، أطلس الحضارة الاسلامية، مصدر سابق، ص 146، وانظر: الفاروقي، التوحيد مصدر سابق، ص 306

[3]– الفاروقي، التوحيد ، المصدر السابق، ص 307.

العكس أنه يؤثر الجمال أي إيثار ويرى الجمال كله في الله وفي كلامه، لذلك أندفع بحبه هذا إلى ابداع فن جديد "[1]

طبقا للتوحيد عند الفنان المسلم لا شيء في الطبيعة، من إنسان، وحيوان، ونبات، يمكن ان يحمل صورة الله(ليس لله صورة)، أو يعبر عنه. "لذلك أسلب كل ما صوره، أي أبعده عن طبيعته، إلى درجة الإنكار، وقدمه بمثابة شهادته بأن لا إله في الطبيعة"[2]

لذلك جاءت فنون المسلمين جميعها تجريدية، وما كان منها مؤسلبا تنكر للطبيعة وبالتالي لعدم الاعتراف بأي جوهر ما ورائي فيها.

وعمل الفنان المسلم في تعبيره الجمالي على تطوير الخط العربي حتى صار زخرفة إسلامية arabesque لا متناهية في امتداداته وأشكالها.

وبالمثل فنون الهندسة المعمارية، وسائر وسائل التعبير الأدبي والفني التي استخدمها تدل على أن التوحيد هو العامل المشترك بين المسلمين. وهو المبدأ الجمالي الموحد لفنونهم التي وجدت[3].

[1]- الفاروقي ، جوهر الحضارة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص21.

[2]- الفاروقي، المصدر نفسه ص 22.

[3]- الفاروقي، جوهر الحضارة الاسلامية، مرجع سابق، ص22

خاتمة:

تعتبر محاولة اسماعيل الفاروقي في تجديد صياغة العقيدة الإسلامية من الأعمال الرائدة في مجال المنظور الحضاري الذي تجاوز فيه، عرض مسائل عقيدة التوحيد على النهج المعهود في علم الكلام، وهو حصرها في الإلهيات والنبوات، والمعاد.

وبالنظر إلى السقوط الحضاري العام للأمة، وهجوم العقائد والإيديولوجيات الغربية على المسلمين في هذا العصر، ما دعا الفاروقي انطلاقا من الواقع، ومقتضيات القرآن الكريم، إلى الأخذ في الاعتبار أن يقدم عقيدة التوحيد في أهم أعماله العلمية عام 1982م في ثوب جديد في كتابه: " التوحيد مضامينه في الفكر والحياة".

ليبرز في هذا السفر عقيدة التوحيد كتفسير للعالم أولا، وكخطة لتغييره ثانيا، فيما عبر عنه بالتوحيد كجوهر للحضارة الإسلامية ماضيا، وحاضرا، ومستقبلا.